

خطاب صاحب الجلالة
بالجامعة المصرية عندما قلد جلالته الدكتوراه الفخرية

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين

فخامة رئيس الجمهورية :

سيادة مدير الجامعة :

حضرات الأساتذة والعلماء :

حضرات السيدات والسادة :

إن الذاكرة لترتد بنا خمسة أعوام إلى الوراء، يوم جاء والدنا المرحوم محمد الخامس طيب الله ثراه إلى هذا الحرم الجامعي ليتسلم فيه شهادة الدكتوراه الفخرية من هذه الجامعة التي سارت بذكرها الركبان، وعم إشعاعها القاصي والداني في مختلف البلدان. فتكريمكم اليوم لشخص ولده، وخلفه في جهاده، شنشنة عرفت في هذا الحرم من أخزم، ومكرمة أثرت بين هذه الرحاب الثرية عن حفى أكرم، وبالاضافة إلى ما يخامرنا في هذه اللحظة من عواطف المسرة والاعتزاز والافتخار، فإننا لنشعر شعورا خاصا بما يرمز إليه هذا التكريم ويدل عليه هذا التقدير. فإذا كان من تقاليد هذه الجامعة أن تزكي جهود الوافدين على هذا القطر الحبيب ممن عرفوا بطول الباع، وضربوا في نوع من الأنواع، بسهم في نشر الثقافة وتثبيت دعائم العرفان، فإن التزكية التي تحظى بها اليوم جهودنا المتواصلة، لا تنحصر في شخصنا، ولا تقف عند حدود ما أسهمنا به باعتبارنا ملكا لقطر شقيق في ميدان المعرفة ومجال التهذيب والتثقيف، بل تشمل المغرب الأقصى بأجمعه، ذلك الجناح من العالم العربي الذي كان ومازال شديد الحرص على عروبته وتوثيق الصلة بشؤون الثقافة أية ما كانت مصادرها وينابيعها، قوي الرغبة في الأخذ والعطاء، جميل البلاء في الاستكشاف والاستجلاء، محمود المسعى في البذل والسخاء.

لقد اعتنق المغاربة الاسلام طوعا واختيارا، ورضى واستبشارا، إذ حمل إليهم من مكارم الأخلاق وسليم المبادىء وصحيح الأحكام وقويم النظم ما سعدوا به أفرادا وجماعات، وأقبلوا على العربية لغة القرآن يتدارسونها، وعلى فنونها يتعلمونها ويعلمونها، وما لبثوا أن لمسوا ما فيها من المرونة والإقتدار على التعبير عن أدق الصور المادية، والخلجات النفسية، واستمسكوا بها لسانا قوميا مبينا، وأحبوها حبا مكينا ؛ ولما دلفت إليهم من المشرق ثقافة الاسلام وعلوم العربية ومعارف الأمم المتقدمة، استوعبوها وأتقنوها، وتناولوها بآرائهم وأفهامهم، فأكملوا ناقصها وأوضحوا غامضها، وفصلوا مجملها وهذبوا حواشيها، وزادوا ببحثهم وجدالهم وتخيلهم وافتراضهم في غناها وثروتها، و لم يكتفوا بذلك بل أضفوا عليها من حلتهم وطبعوها بطابعهم حتى أصبحت لهم مدارس مذكورة، ومذاهب مأثورة في علوم الدين وفنون اللغة والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والتاريخ والفنون الشعبية، وحتى صارت جامعات فاس ومراكش وسبتة ومعاهد الأندلس التي عاشت طيلة عصورها الاسلامية تحت حكم المغرب، أو في كنفه، تضاهي جامعات أقطار الشرق العربي ومعاهده. وهل يمكن أن يذكر أعلام فكرنا العربي

وتراثنا الاسلامي دون أن يذكر من بينهم أو في طليعتهم الحافظ الجدلي ابن حزم، والمؤرخ ابن خلدون، والفيلسوف ابن رشد، والطبيب ابن زهر، والرياضي ابن البناء، والجغرافي الادريسي، والرحالة ابن بطوطة، والنباتي الغساني، والمفسر أبو حيان، والمحدث ابن رشيد، والفقيه عياض ؟ أو هل يمكن ذكر العربية وآدابها دون أن يذكر ابن مالك، وابن آجروم، وابن هانىء، وابن زيدون، وابن سيدة، وابن المرحل، ولسان الدين بن الخطيب، والفتح بن خاقان، وابن سعيد، وابن بسام، والفشتالي، والمقري، وغيرهم ممن يطول تعداده من كل عالم لبيب، وشاعر أديب وضارب في مختلف العلوم بسهم مصيب ؟!

على أن العلوم الاسلامية والفنون العربية — وإن صارت لها في الجناح الغربي من العالم العربي تلك المدارس التي بها تعرف، والطوابع التي بها تتم — لم تنقطع صلتها بعلوم العرب المسلمين وفنونهم في الجناح الشرقي من العالم العربي، بل ظلت جزءا من تراثهم، وركنا في صرح ثقافتهم ومدنيتهم، وكانت — على نأى الدار وبعد المزار — أداة تأثر وتأثير. فلم تفتأ الصلات قوية بين علماء المشرق وعلماء المغرب، إذ كانوا يتكاتبون ويتراسلون، ويتحاورون ويتشاورون، ويستفتي بعضهم بعضا فيما كان يعن من قضايا ويعرض من مسائل، ويتهادون الدواوين، ويتبادلون المؤلفات، ويحلون من قطر إلى قطر لسماع الرواية، والأخذ والدراية، لا تقف دونهم حدود، ولا تحول بينهم سدود ولا قيود، إذ كانوا حيثما حلوا وارتحلوا من المغرب أو المشرق متقلبين في مهاد وطنهم الرحيب.

وبالاضافة إلى ما لهؤلاء العلماء الجلة الأمجاد، والأدباء النوابغ الأفذاذ، من فضل في الميادين العلمية، وأياد سابغة بيضاء في المجالات الأدبية، فإن فضلهم في الحقل السياسي وفير، وأثرهم في حفظ الكيان العربي كبير، ففي الوقت الذي تمزق فيه أديم الأمة العربية، وبليت جدتها واستحالت أقطارها الشاسعة، وممالكها الواسعة، إلى دويلات صغيرة وإمارات ضيقة متصدعة البنيان، متداعية الأركان، وفي الوقت الذي أضاع فيه العالم العربي سيادته وفقد حريته، ولم يفلت منه من السيطرة الأجنبية غير المملكة المغربية، أطال هؤلاء العلماء للسان العرب نفسا، وأبقوا لثقافتهم رمقا، وكانوا دوما في الطليعة، وعبارات التنويه المشفوعة بالاعتبارات التي حدت مجلس جامعة القاهرة إلى اتخاذ قراره، والبواعث التي حفزته إلى إقامة هذا الحفل التكريمي، ستبقى ماثلة في ذهننا، عالقة بذاكرتنا، وإن طالت الأيام وامتدت الأعوام.

وإذا كان خير الآثار ينتمي إلى العلم ويرتبط بالعرفان، فإن هذه الشهادة التي نتسلمها اليوم منكم بمزيد المسرة والابتهاج، ستحل مكانا مرموقا بين اعلاقنا وذخائرنا، وتكون لنا حافزا على مضاعفة الجهود وموالاة الخطى في الميدان الثقافي والعلمي بالقدر الذي نعتقد أننا أرضينا به طموحنا، ونتيقن معه أننا حققنا آمال السادة العلماء المحترمين الذين طوقوا جيدنا بهذه المنة، وصدقنا من الوجهة العلمية والثقافية ما حسنوا فينا من ظنون.

والله نسأل أن يديم صرح هذه الجامعة سامقا، وحرمها آمنا ويبقيها مثابة لرواد المعرفة وعشاق الثقافة، كما



نسأله جل وعلا أن يحفظ أمتنا العربية من كل مكروه، ويقيها كل محذور، ويجمع كلمتها على الحق، ويأخذ بيدها فيما تنشده من عزة ومناعة، وسؤدد وكرامة، إلى أهدى صراط وأقوم سبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ألقي بالقاهرة

الأحد 11 ذو القعدة 1384 — 14 مارس 1965